من تراب الطريق! (١٧٤) عشوائيات الحظوظ ! (*)

من شهور كتبت عن تجاهل اسم الزعيم الكبير مصطفى النحاس فى شوارع وسط القاهرة، مع أن شارع قصر النيل لا يزال اسما بلا مسمى حتى الآن، جاهزا لأن نطلق عليه اسم الزعيم مصطفى النحاس الذى ظلمناه طويلا طوال سنوات العزلة الإجبارية التى فرضت عليه !

ويبدو أن تكريم الأحياء فى مصر حظوظ. فمن الحظوظ أن نقيم تمثالا للفريق عبد المنعم رياض بميدان التحرير، وهو لا جدال يستحق التكريم، بينما لم نقم تمثالاً لائقا بقلب القاهرة حتى الآن لأى من الزعيم جمال عبد الناصر الذى استشهد الفريق رياض إبان حكمه، أو للرئيس السادات صاحب قرار وحرب العبور. وقد يقال إضافة لذلك إن حرب التحرير بين ١٩٦٧ و١٩٧٣ قد حملت بطولات لأبطال عظام لا تقل بطولاتهم عن الفريق رياض، ومع ذلك لم يكرمهم أحد !

ظنى أن الأمور جارية على نظام المصادفات، أو الاستجابة للإلحاحات، وإلاّ فكيف نفسر توارى طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ويحيى حقى تواريا يكاد يكون تاما فى موجات التكريم التى تكاد الآن تنصب فى العظيم نجيب محفوظ دون أن نبالى بمن أطلق عليهم هو نفسه أنهم أساتذته الذين حفروا وعبدوا الطريق .. هل كان عباس العقاد يدرك قلة التقدير والوفاء حين هرب بجثمانه فأوصى أن يدفن بمسقط رأسه أسوان حتى لا يضيع فى زحام القاهرة كما يضيع الآن بتجاهل إقامة تمثال

(*) المال ٢٠٠٨/١٢/٤

له فى القاهرة، إذ لا يكفى تخليداً له أن يطلق اسمه علـى شارع بمدينـة نصر !

ما هو منطق أن تتوارى جثامين وأضرحة قامات مثل مصطفى كامـل ومصطفى النحاس ومحمد فريد وعرابى وطه حسين ولطفى السيد وتوفيق الحكيم ويحيى حقى، بينما لأحمد ماهر ضريح بوسط القاهرة كان من حظ محمود فهمى النقراشى أن ألحق به . بديهى لست أعترض علـى تكـريم رياض ومحفوظ وماهر والنقراشى، ولكنى أتساءل فقط عن عـدم تكـريم آخرين يستحقون أيضا كل التكريم !

هل يغفر لنا التاريخ أننا حتى الآن لم نقم تمثالاً لائقا للزعيم جمال عبد الناصر، أو للرئيس محمد نجيـب أول رئـيس للجمهوريـة، أو للـرئيس السادات أو للزعيم مصطفى النحاس ؟!

لا جدال أن العظيم نجيب محفوظ محظـوظ - فـضلا عـن تفـرده - بمجموعة محبيه الذين يحوطون ذكراه بالعناية والتكريم فـى كـل مكـان وآخرها إطلاق اسمه على تكية أبو الدهب وإنشاء متحف باسمه . ولكن ألا يمثل هذا بمفهوم المخالفة أننا نغضى بلا منطق ولا مبـرر عـن تكـريم عظمائنا أمثال العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم وآخرين فى عقـد فريـد ملئوا الحياة الأدبية والفكرية إلى جانب عظماء القادة والزعماء الذين غيرنا ما كان قد أطلق من أسمائهم على مدن أو بحيرات حال حياتهم ؟!

ظنى أن مرد ذلك ليس فقط إلى قلة الوفاء، وإنما إلى عشوائية تتـرك الأمور لمصادفات المقادير، مثلما تركت كل شىء جميـل فـى القـاهرة المعزية إلى أيادى الإهمال والقبح والقذارة، فضاعت الجماليات، حتى فـى التماثيل التى أقيمت مؤخرا فاختيرت لها أمكنة تكاد تزرى بها، كالمكـان المختار لتمثال أمير الشعراء أحمد شوقى، أو ضياع معالم تمثـال الفريـق رياض وسط ارتفاعات كوبرى أكتوبر من ناحية، والأنتكخانة من ناحيـة أخرى، حتى أنك لا تستطيع أن تهتدى إلى موضع التمثـال إلاّ إذا فتـشت

وأمعنت النظر لتجده فى النهاية صغيراً متواضعاً لا يوحى بأى شـــموخ وسط الغابة الخرسانية العالية المحيطة به !

ماذا أقول لكم ؟! هل أقول انظروا إلى مساحة وامتداد الميدان الـــذى وضع فيه الباريسيون المسلة المصرية فى ميدان الكونكـــورد . رحـــم الله أحمد بهاء الدين الذى ظل إلى آخر يوم قبل أن تأخـــذه الغيبوبـــة ينـــادى بالعودة إلى رعاية الجمال فى بر مصر !